نواة الإيمان

للإمام العلامة المحقق

الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ

رحمهم الله وغفر لنا ولهم

والآية الثانية : قوله تعالى﴿ ١٦ : ١٠٦ ، ١٠٧ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحيـاة الـدنيـا على الآخـرة – الآية** ﴾ فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، وأما غير هذا : فقد كفر بعد إيمانه سواء فعـل ذلـك خوفاً أو مداراة . أو مَشَحَّة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعله على وجه المزح ، أو لغير ذلك من الأغراض ، إلا المكرَه

فالآية تدل على هذا من وجهين :

الأول : قوله﴿ **إلا من أكره** ﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا المكره . ومعلوم : أن الإنسـان لا يكـره إلا على الكلام أو الفعل ، وأما عقيدة القلب : فلا يكره عليها أحد .

والثاني : قوله تعالى ﴿ **ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا** ﴾ فصرح بأن الكفـر والعـذاب لم يكن بسبب الاعتقـاد والجهـل والبغض للدين ومحبة الكفر ، وإنما سببه : أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا . فآثره على الدين .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، وأعز وأكرم .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء وصفوة المرسلين . محمد وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين .

قال الشيخ العلامة الموفق ، الصالح التقي المدقق : عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام وعلم الأعلام ناشر السنة ، وقامع البدعة بالسيوف والأسنة والأقلام : الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله رحمة واسعة . وجعلهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وجعلنا معهم برحمته وفضله :

إعلم - رحمك الله - أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته ، الجامعة لمعرفته ومحبته ، والخضوع له وتعظيمه ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، وإسلام الوجه له .

وهذا هو الإيمان المطلق ، المأمور به في جميع الكتب السماوية وسائر الرسالات النبوية .

ويدخل في باب معرفة الله : توحيد الأسماء والصفات ، فيوصف الله سبحانه بما وصف به نفسه من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوز العبد ذلك ولا يوصف الله إلا بما ثبت في الكتاب والسنة .

وجميع مافي الكتاب والسنة : يجب الإيمان به ، من غير تحريف ولا

الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز ﴾ .

ويدخل في الإيمان : إيمان العبد بتوحيد الإلهية ، الذي تضمنته شهادة الإخلاص ﴿ لا إله إلا الله ﴾فقد تضمنت نفي استحقاق العبادة بجميع أنواعها عما سواه سبحانه وتعالى ، من كل مخلوق ومربوب . وأثبتت ذلك على وجه الكمال الواجب والمستحب لله تعالى فلا شريك له في فرد من أفراد العبادة، إذ هو الإله الحق المستقل بالربوبية والملك والعز ، والغنى والبقاء . وما سواه فقير ومربوب ومعبد خاضع له ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً . فعبادة أحد سواه تعالى أظلم الظلم ، وأسفه السفه . والقرآن كله راد على من هدم توحيد الإلهية والعبادة ، فأشرك مع الله غيره ، في أي نوع من هذه العبادة ، مبطل لمذهب جميع أهل الشرك والتنديد ، آمراً وحاضا ومرغبا في إسلام الوجه لله وحده ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، والتبتل له في عبادته .

ولفظ «العبادة» في أصل اللغة : لمطلق الذل والخضوع . ومنه طريق معبد ، إذا كان مذللاً ، قد وطّأته الأقدام ، كما قال الشاعر :

تبارى عتاق الناجيات ، وأتبعت   وظيفاً وظيفاً فوق مُورٍ معبد[1]

واستعملة الشارع في العبادة : الجامعة لكمال المحبة وكمال الذل

---

(١) الوظيف خف البعير ، وهو كالحافر للفرس . والمور : الطريق المعبد في الجبل ، سمى بذلك لأنه يضطرب فيه جيئة وذهاباً

تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل . قال الله تعالى ﴿ ٢٠ : ٨ **الله لا إلـه إلا هو ، له الأسماء الحسنى** ﴾فأسماؤه كلها حسنى ، لأنها تدل على الكمال المطلق ، والجلال المطلق ، والصفات الجميلة .

فنثبت ما أثبته الرب لنفسه ، وما أثبته له رسوله ، ولا نعطله ، ولا نلحد في أسمائه ولا آياته ، ولا نشبه صفات الخالق بصفات المخلوق ﴿٤٢ : ١١ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ ﴿٢٠ : ١١٠ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً**) .

فإن تعطيل الصفات عما دلت عليه : كفر ، والتشبيه فيها كذلك كفر . وقد سأل رجل مالك بن أنس رحمه الله ، عن ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾فاشتد ذلك على مالك ، حتى عَلَتْه الرُّحَضاء إجلالاً لله وهيبة له من الخوض في ذلك ، ثم قال « الاستواء معلوم ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب . والسؤال عنه بدعة » يريد رحمه الله : السؤال عن الكيف .

وهذا الجواب : يقال في جميع الصفات ، لأنه يجمع الاثبات والتنزيه .

ويدخل في الإيمان بالله ومعرفته : الإيمان بربوبيته العامة الشاملة لجميع الخلق والتكوين ، وقيوميته العامة الشاملة لجميع التدبير والتسخير والتمكين ، فالمخلوقات بأسرها مفتقرة إلى الله في قيامها وبقائها ، وحركاتها وسكناتها ، وأرزاقها وأفعالها ، كما هي مفتقرة إليه في خلقها وإنشائها وإبداعها . قال تعالى ﴿ ٣٥ : ٧٦ ، ٨٧ يا أيها

يهدي به من يشاء من عبادته . ولو أشركوا حبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ .

والشـرك : قد عرفـه النبي ﷺ بتعريف جامع ، كما في حديث ابن مسعود : أنه قال « يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك » والند : المثل والشبيه[1] .

فمن صرف شيئـاً من العبـادات القـولية أو الاعتقادية . أو المالية أو العملية - لغير الله : فقد أشرك شركاً يبطل به التوحيد وينافيه ، لأنه شبـه المخلوق بالخـالق ، فأحبـه كحبـه ، وعظمـه كتعظيمـه ، وخافه كخـوفـه . ولهـذا كان الشرك أكبر الكبائر على الإطلاق ، وكان محبطاً لكـل عمـل ، وكان محرماً الجنة على صاحبه ، والشرك فيه أسوأ الظن بالله . كما قال الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿٣٧ : ٨٥ - ٨٧ ماذا تعبـدون ؟ أئفكـا آلهـة دون الله تريدون ؟ فما ظنكم برب العالمين ؟ ﴾ .

قال العـلامـة ابن القيم رحمـه الله : أي فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتمـوه وقـد عبـدتم غيره . وماذا ظنكم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص ؟ حتى أحوجكم ذلك إلى العبودية لغيره ، فلو ظننتم به ما هو أهله : من أنـه بكـل شيء عليم ، وعلى كل شيء قديـر ، وأنه الغني

---

(١) وليس بلازم أن يكـون مثيـلاً وشبيهـاً في كل الصفات والخصائص ، بل يكفي أن يجعـل له بعض الصفـات والخصـائص ، فيكون بها نداً . وقد جعل الله من أحب متبوعه ومعتقده حب تعظيم وتقديس وخوف ، كحب المؤمن لله متخذاً من دونه نداً ، ومن تأمل حال متخـذي الأوليـاء أنـداداً من دون الله ، تبـين له : أنهم أعطـوهم من صفات الحياة والسمع والبصر والقدرة والرحمة والغنى وغيرها ما هو من أخص خصائص الرب سبحانه

والخضـوع ، وأوجب الاخـلاص لله فيها ، كما قال تعالى ﴿٣٩ : ٢ ، ٣ **إنـا أنـزلنـا إليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الـدين الخـالص** ﴾ وهـذا هو التـوحيـد الـذي جاءت به كل الرسل ، ونزلت به جميع الكتب[1]

والعبادة إذا خالطها الشرك أفسدها وأبطلها . ولا تسمى عبادة إلا مع التـوحيـد الخـالص . قال ابن عبـاس « ما جاء في القرآن من الأمر بعبادة الله إنما يراد به التوحيد » ا هـ

ويـدخـل في العبـادة الشـرعيـة : كل ما شرعـه الله ورضيـه : من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة : من محبة الله ، وتعظيمه وإجلاله ، وطـاعتـه والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، ودعائه خوفاً وطمعاً ، وسؤ اله رغبـاً ورهبـاً وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهود ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمملوك والمسكين وابن السبيل وكـذا النحر والنذر ،، فإنهما من أجّل العبادات ، وأفضل الطاعات . وكـذا الطـواف ببيتـه تعـالى ، وحلق الرأس نُسُكاً ، تعظيماً وعبودية . وكذا سائر الواجبات والمستحبات .

فحق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

والشرك في العبادة : ينافي هذا التوحيد . ويبطله . فإن الله تعالى فا ذكـر خواص أوليـائـه ومقـربي رسله قال﴿ ٦ : ٨٨ **ذلـك هدى الله**

---

(١) يشير إلى أن ما اشتهر عند المنتسبين إلى العلم : من كتب الكلام التي يذكرون فيهـا : العشـرين صفـة وأضدادها ، وتطويل الخوض في ذلك ، وما تفنن فيه أهل الجدل والكلام ، ليس هو توحيد الرسل الذي بعثهم الله به . فافهم وتدبر أرشدني الله وإياك .

ونعيمه : إنما هو في إفراد الله بهذه العبادة ، والإنابة إليه بما شرعه لعباده منها .

وأصلها : كمال المحبة ، وكمال الذل والخضوع ، كما تقدم . هذا سر العبادة وروحها ، ولا بد في عبادة الله من كمال المحبة مع كمال الخضوع .

فأحب خلق الله إلى الله ، وأقربهم منزلة عنده : من قام بهذه المحبة والعبودية ، وأثنى على ربه سبحانه بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلا فمن أجل ذلك : كان الشرك أبغض الأشياء إلى الله ، لأنه ينقض هذه المحبة والخضوع والإنابة والتعظيم ، ويجعل ذلك شركة بين الله وبين من أشرك به من الأنبياء أو الأولياء ، أو الملائكة أو الأشجار والأحجار . ولذلك لا يغفره الله أبداً لمن أصر عليه حتى مات ، لأنه يتضمن سب الله وتنقصه بالتسوية بينه وبين من اتخذ معه شريكاً في المحبة والتعظيم [1] وغير ذلك من أنواع العبادة . قال الله تعالى ﴿٢ : ١٦٥ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ، يحبونهم كحب الله . والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾ أخبر سبحانه : أن من أحب أحداً أو شيئاً دون الله حباً من جنس الحب الواجب لله – وهو الحب مع الذل والخضوع – فقد اتخذه نداً لله .

---

(١) ويستلزم ولا بد : اعتقاد أن هؤلاء الأنبياء والأولياء أبناء الله لأنهم – بزعم الصوفية – النور الذي انبثق وتولد من ذات ربهم . ولذلك فإن الله يقرر في آيات السور المكية التشنيع على الشرك والمشركين : التشنيع على من زعم لله ولداً . فتنبه لذلك جيداً تعرفه .

عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، وأنه قائم بالقسط على خلقه ، وأنه المنفرد بتدبير خلقه ، لا يشركه فيه غيره . وأنه العالم بتفاصيل الأمور ، فلا تخفى عليه خافيةٌ من خلقه ، وأنه الكافي لهم وحده ، لا يحتاج إلى معين ، وأنه الرحمن بذاته . فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه . وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم ، ومحتاجون إلى من يعينهم على قضاء حوائجهم ، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة . فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة . لحاجتهم وعجزهم وضعفهم ، وقصور علمهم . فأما القادر على كل شيء ، الغني بذاته عن كل شيء ، العالم بكل شيء . الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء : فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه : تنقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده ، وظن به ظنَّ السوء . وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر . وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح . انتهى (١) .

إذا عرفت هذا : فصلاح العبد وفلاحه . وسعادته ونجاته وسروره

---

(١) خصوصاً إذا عرف أن أساس اتخاذ الموتى وسائط : هو إعتقاد أنهم النور الذي انبثق من الله ، وأن أول خلق الله : الحقيقة المحمدية ، كما يعتقد ذلك كل الصوفية الذين هم الواضعون للوثنية وعبادة الموتى باسم الوسائط . فإنهم يقولون : إن ذات ربهم كالنواة ، وأن العالم خرج كله من هذه النواة ، كالنخلة وكل شجر . فالخلق مظاهرات لذات آلهم . وهذا هو أساس اتخاذ الأولياء وسائط من دون الله .

والنوع الثاني : محبة رحمة وإشفاق ، كمحبة الوالد لولده ونحوها . وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم .

والنوع الثالث : محبة أنس وإلف ، وهي محبة المشركين في صناعة أو علم . أو مرافقة أو تجارة أو سفر : بعضهم لبعض ، وكمحبة الإخوة بعضهم لبعض فهذه المحبة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض ، ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة الله سبحانه . ولهذا كان الرسول ﷺ يحب الحلو والعسل . وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد ، وكان أحب اللحم إليه الذراع ، وكان يحب نساءه ، وكانت عائشة أحبهن إليه . وكان يحب أصحابه ، وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنهم .

وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده ، والتي إن أحب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله : فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم ، وكمال الطاعة ، وإيثار رضا المحبوب على رضا غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلا . وهي التي سَوَّى المشركين فيها بين آلهتهم وبين الله . وهي أول دعوة الرسل ، وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة : اعترافه وإقراره بهذه المحبة وإفراد الرب بها . فهي أول ما يدخل بها في الإسلام ، وآخر ما يخرج به المؤمن من الدنيا إلى الله ؟ وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها ، وجميع المقامات وسائل إليها ، وأسباب لتحصيلها وتكميلها وتحصينها من الشوائب والعلل . فهي قطب رحى السعادة ، وهي روح الإيمان ، وساق شجرة الإسلام ، ولأجلها خلق الإنس والجن ، ولأجلها أنزل الكتاب والحديد . فالكتاب هاد إليها ، ودال عليها ومفصل لها ، والحديد : لمن خرج عنها وأشرك مع الله غيره فيها

وهذا معنى قول المشركين لمعبوديهم يوم القيامة﴿ ٢٦ : ٩٧ ، ٩٨ تالله إن كنا في ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين ﴾ فهذه تسوية في المحبة والتاليه ، لا في الذات والأفعال والصفات[1] .

والآيات قبلها تدل على ذلك ، إذ يقول الله﴿ ٢٦ : ٩٤ - ١٠٢ فكُبكبوا فيها هم والغاوون . وجنود إبليس أجمعون . قالوا - وهم فيها يختصمون - تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم ، فلو أن لنا كَرَّة ؟ فنكون من المؤمنين ﴾ كما حكي عنهم في سورة البقرة أيضاً﴿ ٢ : ١٦٣ إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبَعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذي اتَّبعوا : لو أن لنا كرة ؟ فتبرأ منهم كما تبرؤا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار ﴾ .

فمن صرف ذلك لغير الله الإله الحق : فقد أعرض عنه ، وأبق عن مالكه وسيده فاستحق مقته وغضبه . وطرده عن دار كرامته ، ومنازل أحبابه .

والمحبة ثلاثة أنواع : محبة طبيعية ، كمحبة الجائع للطعام ، والظمآن للماء . وغير ذلك . وهذه لا تستلزم التعظيم .

---

(١) وهي تسوية أيضاً في الطاعة والتوقير ، إذ كانوا قد شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله . فقدموا شرعهم الباطل على شرع الله الحق ، وأسلموا إليهم قلوبهم وأعمالهم ، مثل ما يسلم المؤمنون ذوو الألباب قلوبهم ووجوههم لله ولرسوله ولكتابه . وعقيدة فيض النور الأول : هي التي ولدت التسوية في العبادة والإلهية . والله أعلم .

بالنواجذ ، ويقبض فيه على الجمر ، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل ، ولا يطلب على فضله، بل يجعل هو المطلب الأعظم، وما سواه إنما يطلب على الفضلة.

والله المسئول أن يمن علينا بتحقيق ذلك علماً واعتقاداً وعملاً وحالا ونعوذ بالله أن يكون حظنا من ذلك مجرد حكايته.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه محمد النبي الأمي ، وعلى آله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه . واجعلنا منهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

ولأجلهـا خلقت الجنـة والنـار، فالجنـة دار أهلهـا الذين أخلصوها لله وحـــده ، فأخلصهم لها . والنـــار دار من أشـــرك فيهـا مع الله غيره ، وسوى بينه وبين الله فيها .

فالقيـام بها علماً ، واعتقـاداً وعملاً وحالاً وتصحيحاً : هو تصحيح شهادة أن لا إله إلا الله .

فحقيق بمن نصـح نفسـه وأحبهـا ، وأحب سعـادتها ونجاتها : أن يتيقـظ لهذه المسألـة أشـد التيقـظ ، وتكون أهم الأشياء عنده ، وأجل علومـه وأعـمالـه . فإن الشأن كله فيها . والمدار كله عليها . والسؤ ال عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم كل السلامة من أي علة ومرض من أمراض حب غير الله ، وتقديم طاعته ومرضاته على طاعته سبحانه ومرضاته .

قال تعـالى ﴿ ١٥ : ٩١ ، ٩٣ فوربـك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ قال غير واحد من السلف : هو السؤ ال عن قول « لا إله إلا الله » وهذا حق . فإن السؤ ال كله عنها وعن أحكامها وحقوقها .

قال أبو العالية : كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟

فالسؤ ال عن « ماذا كانـــوا يعبـــدون » هو السؤ ال عنهـا نفسهـا . والسؤ ال عن «ماذا أجابوا المرسلين» هو السؤ ال عن الوسيلة والطريق المؤ دية إلى تحقيقها ، هل سلكوها وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها ، أم لا ؟ فعاد الأمر كله إليها .

وأمـرٌ هذا شأنـه : حقيق بأن تُثْنَى عليـه الخنـاصـر ، ويعض عليه


دار الثقافة للطباعة
DAR ALTHAQAFA PRINTING PRESS
مكة المكرمة / الزاهر / هاتف ٥٤٢٥١٩٢ / ٥٤٤٨٥٤٦